

(الأصوات النفسية)

في العربية

د - علي زوين

كلية التربية - جامعة القادسية

■ التعريف بالنفسية :

النفسية من الاصطلاحات اللغوية المحدثة المرتبطة بالمستوى الصوتي في التحليل اللغوي . وهي ترجمة للكلمة الانكليزية (ASPIRATION) . وقد تستخدم كلمة (الهوائية) أو (الهائية) مرادفة لها من حيث المدلول . ويرجع استخدام مصطلح (النفسية) في العربية منعاً للبس الذي تتضمنه كلمة (الهوائية) لانصرافها الى المعنى الذي أراده الخليل وأطلقه على أصوات المد الثلاثة في العربية (الألف والواو والياء) لأنه جعلهن (جوفاً)^(١) لخروجهن من الجوف وهوائية لخروجهن مع النفس من غير عائق يعوق مجراها .

أما (الهائية) فالظاهر أنها لا تفيد المعنى المطلوب ولا تقيد بالمدلول المقصود لانصراف مضمونها الى صوت الهاء وهو ترجيح بلا مرجح ، لان الصوت الذي يعقب بعض الأصوات قد يشبه الهاء إلا أنه ليس هاءً وإنما هو نفخ أو شبيه بالنفخ ، ويكون من النفس الممتد مع الأصوات الانفجارية بعد فتح الانسداد في المخرج لتمكين الانفجاري المجهور من استكمال ضيقية (الانفجار والجر) ، على أن (النفسية) لا تقتصر على الأصوات الانفجارية المجهورة حسب بل تشمل أيضاً على عدد من الأصوات الانفجارية المهموسة ، ولذلك كله يفضل استخدام مصطلح (النفسية) بدلاً من (الهوائية) أو (الهائية) وإن كان الرمز المشير الى هذه الظاهرة عند بعض اللغويين^(٢) وهو وضع الصوت (h) عقب الصوت النفسي . ولا يصح من حيث إرادة الترجمة أن نجعل (h) هذه هاءً وإنما هي مشيرة الى ظاهرة صوتية تشبه الهاء حيناً وتختلف عنها حيناً آخر الى ما يشبه النفخ . والنفسية في المفهوم اللغوي الحديث : « إحداث صوت يشبه الهاء مصاحباً لصوت آخر »^(٣) . وتنشأ هذه الظاهرة الصوتية نتيجة لاقترب الوترين الصوتيين وزيادة دفع الهواء الخارج عبر تجويف الفم وتضييق مجراه فينطلق الصوت بقوة مصحوبة بتيار نفسي . ويمثل للأصوات النفسية في اللغة الانكليزية - غالباً - بأصوات (t) و (p) و (k) إذا وقعت في أول الكلمة ، نحو : (tin) و (pin) و (kin) . وهذه الأصوات انفجارية مهموسة ، وشرط نفسياتها ألا تقع بعد الصوت (s) في نحو :

(Stin) و (Spin) و (Skin) . والإشارة المستخدمة عند الغربيين الى كون الصوت نفسياً هي هكذا (t') أو (p') - مثلاً - ... الخ^(٤) . وفي العربية أمثلة ونظائر لأصوات نفسية ، منها : الباء والجيم والdal والطاء والقاف ، إذا جيء بها ساكنة أو موقوفاً عليها نحو : (اذهب) و (اخرج) ... الخ .

الأصوات النفسية عند اللغويين العرب المتقدمين : تنبّه اللغويون العرب الى أن بعض الأصوات في العربية يعقبها نفس أو نفخ أو شبه نفخ إذا كانت ساكنة أو موقوفاً عليها . خصوصاً بالذكر منها اصواتاً اصطلاحاً عليها بـ (حروف القلقة) وقد تسمى بـ (اللقلقة)^(٥) .

وظاهر العبارة يفيد أن القلقة من الحركة ، وكان هذه الأصوات تقلقت أي تحركت عن مواضعها حين إرادة النطق بها ساكنة . وذكر ابن الجزري^(٦) أن المتأخرين من اللغويين ظنوا أن القلقة حركة ، ونقل قول الخليل أن القلقة شدة الصياح والقلقة شدة الصوت ، فأنهم بعبارته أن القلقة عنده شدة الصوت . وليس الأمر كما ذكر ابن الجزري فقد ورد عند بعض المتقدمين ما يفيد أن القلقة تحرك الأصوات عن مواضعها كما سلاحظ ، وليس أذل على ذلك من عبارة المبرد يصف حروف القلقة بأنها « تسمع في الوقف عندها نبرة بعدها » لأنها « ضغطت عن مواضعها » وعبارة ابن جني واصفاً إياها بأنها « تحفّز في الوقف وتضغط عن مواضعها » ؛ فالنبرة والحفز والضغط أسباب للحركة .

والمتعارف عند جمهور اللغويين أن أصوات القلقة خمسة وهي : الباء والجيم والdal والطاء والقاف . يجمعها قولك (قطب جد) . ووصفت هذه الأصوات بأنها شديدة (أي انفجارية) مجهورة^(٧) . واستبعدت الهمزة على الرغم من أن اللغويين وصفوها بأنها شديدة مجهورة لما ذكروه من التخفيف العارض لها « حالة السكون ففارقت أخواتها ولما يعترتها من الإعلال » . ولم يمنع هذا التعليل عدداً من اللغويين من إلحاق الهمزة بأصوات القلقة . وألحق سيبويه بها التاء وجعل لها نفخاً^(٨) ، كما ذكر المبرد منها الكاف إلا أنه عدّها دون القاف « لأن حصر القاف أشد »^(٩) . وتناول اللغويين العرب ظاهرة النفسية بالتحليل الصوتي ، وذهبوا الى أن هذه الظاهرة تقتزن بالسكون أو بالوقف . واختلفت عباراتهم في وصف الصوت اللاحق بالصوت النفسي ؛ فوصفه المبرد بأنه (نبرة) للضغط العارض له عن موضعه . والنبرة شدة الصوت . قال : « ومنها حروف تسمع في الوقف عندها نبرة بعدها وهي حروف القلقة ، وذلك لأنها ضغطت عن مواضعها »^(١٠) . وقال في موضع آخر : « واعلم أن من الحروف حروفاً محصورة في مواضعها فتسمع عند الوقف على الحرف منها نبرة تتبعه وهي حروف القلقة وإذا تفقدت ذلك وجدته »^(١١) .

ونستنتج من هذين النصين أن الحصر يعني حصر الهواء ، والوقف يعني الوقف على الصوت ساكناً . والحصر إنما يكون في حال الوقف وليس في حال الوصل أو الدرج لأنك تخرج اللسان عنها الى

الفارق الزمني بين الحبس والانفجار . ونلاحظ أن مدة الانغلاق في المجموعة الاولى أطول منها في المجموعة الثانية ، ولذلك تبدو المراحل الثلاث التي ذكرها فنديرس في المجموعة الأولى أوضح منها في المجموعة الثانية لأن العنصر الانفجاري في (ata) يتبع العنصر الانحباسي مباشرة في حين يتأخر العنصر الانفجاري في (atta) بإمساك يطيل مدى الإغلاق . ونستنتج مما تقدم أن الأصوات الانفجارية يختلف بعضها عن بعض من حيث مدة الانغلاق والحبس ، وكلما طالت المدة كان الصوت أكثر انفجاراً من غيره .

أما صفة الجهر في الأصوات فمرجعها الى اهتزاز الوترين الصوتيين أو عدمه ؛ فالأصوات المصحوبة بذبذبة الوترين الصوتيين تدعى بالأصوات المجهورة خلافاً للأصوات المهموسة التي لا يصحبها مثل هذه الذبذبة^(٢٣) .

و (حروف القلقة) كما اصطاح عليها المتقدمون هي من أكثر الأصوات اللغوية إظهاراً للنفسية ولذلك ينبغي أن نقف عندها لننتأمل بعض أوجه الخلاف الوصفي بين المتقدمين والمحدثين . وقد تقدم أن اللغويين العرب وصفوا هذه الأصوات بأنها شديدة ، ولا يختلف عنهم المحدثون إلا في الجيم حيث وصفت في الفصحى المعاصرة بأنها ليست انفجارية^(٢٤) .

والخلاف بين الطرفين كائن في وصف هذه الأصوات بالجهر ، والظاهر أن منشأ الخلاف هو اختلاف النطق بالصوت بين القديم والحديث ووصف الباحثين للأصوات بحسب نطقها المعاصر في الفصحى المتداولة ؛ فقد وصفوا القاف والطاء على أنهما صوتان مهموسان^(٢٥) كما ينطقان في الفصحى المعاصرة خلافاً لوصف اللغويين العرب لهما بكونهما صوتين مجهورين . واختلف المحدثون مع المتقدمين في الهمزة من حيث وصفها بالجهر ؛ فقد وصفها اللغويين العرب لهما بأنها صوت مجهور ولكن الشائع عند معظم الباحثين المحدثين هو أنها صوت ليس بالمجهور ولا بالمهموس^(٢٦) .

وذكرنا فيما تقدم أن سيبويه جعل للطاء نفخاً ، كما جعل المبرد للكاف نفخاً . والصوتان ليسا من حروف القلقة التي اصطاح عليها اللغويون العرب . ونجد في وصف المحدثين لهذين الصوتين بحسب نطقهما المعاصر في الفصحى ما يؤيد زعم سيبويه والمبرد . فالطاء وصفت عند اللغويين بأنها صوت اسناني لثوي انفجاري مهموس مرقق^(٢٧) ، وقد يصحبها شيء من الجهر وبخاصة إذا وليها صوت مجهور كقولك : (انعت داود) إذ تنطق (انعت داود)^(٢٨) ، وهذا من قبيل المماثلة الصوتية فقد أثرت الدال المجاورة للطاء عليها فصار نطق التاء أقرب الى الدال فشابهها شيء من الجهر لأن الدال مجهورة ، وربما ظهر أثر النفخ فيها والحال هذه لميلها الى الجهر مع كونها من الأصوات الانفجارية . وقد تعقبها نفخة بسيطة إذا جاءت بعد كسرة طويلة كما في (تين) و (عتيق)^(٢٩) .

ووصفت الكاف في العربية المعاصرة بأنها صوت طبقي انفجاري مهموس مرقق . وتصحبها نفخة خفيفة إذا جاءت بعدها

وذكر الرضي ستة من الحروف لا يصحبها في الوقف صوت كما في القلقة ولا نفخ كما في المهموسة ولا شبه نفخ كما في الحروف الأربعة (ظ ذ ز) ، وهي : اللام والنون والميم والعين والغين والهمزة . ويبين الأسباب الموجبة لذلك في قوله : « أما عدم الصوت فلأنه لم يتصعد من الصدر صوت يحتاج الى إخراجة وأيضاً لم يحصل ضغط تام .

وأما عدم النفخ فلأن اللام والنون لا يجدان منفذاً كما وجدت الحروف الأربعة بين الأسنان وذلك لأنهما ارتفعتا عن الثنايا ، وكذلك الميم لأنك تضم الشفتين بها ، وأما العين والغين والهمزة فانك لو أردت النفخ من مواضعها لم يمكن .. » .

وهذه الأصوات الستة التي ذكرها الرضي مجهورة كلها بحسب وصف المتقدمين لها ، ولذلك لم تخرج عن القيد الذي وضعه للحروف المهموسة وأن لها نفخاً ، أما صفاتها من حيث الشدة والرخاوة والتوسط ، فالهمزة عند اللغويين المتقدمين شديدة (انفجارية) ، والغين رخوة (احتكاكية) ، وكل من اللام والميم والنون والعين متوسطة بين الشديدة والرخوة .

واتفق الرضي مع من تقدمه على أن حصول الصوت أو النفخ أو شبهه مقرون بالوقف على هذه الأصوات ولا يحصل شيء من ذلك في الوصل .

وخلاصة ما أفاده أنه قسم الحروف الى أربعة أقسام :

- حروف يصحبها صوت ، وهي حروف القلقة .
- حروف يصحبها نفخ ، وهي المهموسة كلها .
- حروف يصحبها شبه النفخ ، وهي الظاء والذال والضاد والزاي .

- حروف لا يصحبها صوت ولا نفخ ولا شبه نفخ ، وهي : اللام والنون والميم والعين والغين والهمزة .

■ (النَّفْسِيَّة) فِي ضَوْءِ عِلْمِ اللُّغَةِ الْحَدِيثِ

ترتبط ظاهرة النفسية في التحليل الصوتي بأمر أهمها الانفجار والجهر اللذان يصحبان بعض الأصوات حال النطق . ولذلك توصف هذه الأصوات بأنها (انفجارية) أو (انسدادية) أو (وقفية)^(٣٠) . وخلافها الأصوات (الرخوة) أو (الاحتكاكية) أو (الانسيابية) ؛ على أن مصطلحي الانفجارية والاحتكاكية من أكثر المصطلحات استعمالاً في كتب علم اللغة الحديث ولا سيما المؤلفات باللغة العربية . أما من حيث الجهر والهمس فتوصف الأصوات على أنها (مجهورة) أو (مهموسة) . وظاهرة الانفجار التي توصف بها الأصوات مرتبطة بمجرى الهواء الخارج من الرئتين فاذا ما حبس هذا المجرى في موضع من المواضع نتج عن هذا الحبس ان يضغط الهواء في موضعه ثم يطلق فجأة فيندفع محدثاً صوتاً انفجارياً^(٣١) . ولكي تحصل هذه الظاهرة لا بد للصوت أن يجتاز ثلاث خطوات كما ذكر فنديرس^(٣٢) : الإغلاق أو الحبس ، ثم الإمساك الذي يكون طويل المدى أو قصيره ، ثم الفتح أو الانفجار . وقد تطول مدة الإمساك أو تقصر تبعاً لعنصر الانغلاق أو الحبس ؛ فالمجموعة الصوتية (ata) مثلاً تختلف عن المجموعة الصوتية (ata) لوجود

صوت آخر .

يضغط ضغط المقلقل «^(١٨) . وذكر ما تقدم بيانه من أن الوقف على مثل هذه الأصوات يستدعي إخراج صوت أو نفخ بخلاف الدرج والوصل . ويكون ابن عصفور بذلك قد تابع ابن جني وغيره من اللغويين إلا في فصله بين المشربة والمتقلقلة .

ويحث الرضي في ظاهرة النفسية على نحو أكثر تفصيلاً وتقسيماً ، فقد اتفق مع من تقدمه على كون أصوات القلقللة هي حروف (قطب جد) وعلل لتسميتها بمصاحبة ضغط اللسان في مخرجها حين النطق بها وفقاً مع شدة الصوت المتصعد من الصدر ، و « هذا الضغط التام يمنع خروج ذلك الصوت فإذا أردت بيانها للمخاطب احتجت إلى قلقللة اللسان وتحريكه عن موضعه حتى يخرج صوتها فيسمع »^(١٩) .

وتعليل الرضي لهذه الظاهرة يمتاز بالدقة فقد عدّ الصوت الذي يعقب (حروف القلقللة) حين الوقف عليها نتيجة لأمرين : ضغط اللسان في المخرج ، وشدة الصوت المتصعد من الصدر ، ولكن يستدرك عليه عبارة : (ضغط اللسان) ؛ فهي عبارة يفهم منها أن اللسان عملاً في تكون هذه الأصوات جميعها ، وهو أمر يصح على أربعة منها حسب ، وهي القاف والطاء والجيم والذال ، أما الباء فلا يلحظ للسان أثر ظاهر في نطقه . وربما خرجنا عبارة الرضي على أنه أراد (بضغط اللسان) ضغط الهواء المندفع بدليل أنه قال بعد عبارته هذه : « ... وشدة الصوت المتصعد من الصدر » ، وإن كنت أميل إلى أنه قصد (بضغط اللسان) اللسان على حقيقته من باب التغليب لأنه صخّ على أربعة منها سوى الباء .

وجعل الرضي للحروف المهموسة كلها نفخاً حين الوقف عليها « لأنه يجري مع النفس » ، واختلف بذلك مع من تقدمه . والأصوات المهموسة عند اللغويين العرب عشرة يجمعها قولك : (ستشجكتك خصفه) كما هو معروف ، منها صوتان وصفاً بانهما شديدان (انفجاريان) وهما التاء والكاف ، وما بقي منها وصفت على أنها رخوة (احتكاكية) .

وعدّ الضاد والذال والطاء والزاي من الأصوات التي يعقبها مثل النفخة حين الوقف عليها . ولم يذكر من بينها الراء كما ذكرها ابن جني وتبعه ابن عصفور . والنفخ عنده أو شبه النفخ ألا تضغط هذه الأصوات من مواضعها ضغط حروف القلقللة ، وأن تجد لها منفذاً لاحتكاك الهواء من مواضعها ؛ فالضاد تجده من بين الأضراس ، وأما الطاء والذال والزاي فتجد المنفذ من بين الثنايا .

ويستدرك عليه في هذا التعليل جعله التاء والكاف المهموستين من الأصوات التي يعقبها نفخ لأنه أطلق العبارة في هذا المقام على الحروف المهموسة كلها ، وقد تقدم أن التاء والكاف وصفت بانهما حرفان شديدان (انفجاريان) خلافاً للحروف المهموسة الأخرى التي وصفها اللغويون العرب بانهما رخوة . والصوت الشديد يتغلق معه مجرى الهواء في مخرجه ، وربما لاحظ سيبويه ذلك في التاء فعدها من الحروف التي يسمع لها نفخ حين الوقف عليها ، كما عدّ المبرد الكاف من هذا القبيل ، وقد تقدم القول في هذه المسألة .

وذهب المبرد إلى أن بعض هذه الأصوات أشد حصرًا من بعض وعدّ القاف أصلًا لها (لشدة استعلائه) غير أنه لم يقتصر على حروف القلقللة الخمسة بل أدخل الكاف معها كما تقدم ذكره ، وعلل للظاهرة بكون الوقف على مثل هذه الأصوات يعرضهن إلى ضعف في النطق لا يمكنهنّ من تحقيق مخارجهنّ وصفاتهنّ تحقيقاً واضحاً وهي صفة الشدة (الانفجار) وصفة الجهر . وذكر ابن الجزري هذا المعنى للمبرد قائلاً : « .. وهذه القلقللة بعضها أشد من بعض ، وسميت هذه الحروف بذلك لأنها إذا سكنت ضعفت فاشتبهت بغيرها فيحتاج إلى ظهور صوت يشبه النبرة حال سكوتهنّ في الوقف ... »^(٢٠) .

وجعل ابن جني حروف القلقللة قسماً من الحروف المُشربة ، ووصفها بأنها « تُحْفَرُ في الوقف وتضغط عن مواضعها » و « لا تستطيع الوقف عليها إلا بصوت وذلك لشدة الحفز والضغط »^(٢١) . والظاهر أنه اصطاح عليها بالمشربة لهذا المعنى الذي ذكره من أنك لا تستطيع الوقف عليها إلا بصوت^(٢٢) . أما شدة الحفز والضغط فينصرف إلى انحصار الهواء في مخرجها مع ما يصاحبه من صفة الجهر . وأشار إلى أصوات أخرى مشربة أقل ضغطاً من الأولى « .. يخرج معها عند الوقف عليها نحو النفخ »^(٢٣) ، وعدّ من هذا القبيل الزاي والطاء والذال والضاد والراء التي ذكرها بعبارة : « الراء شبيهة بالضاد » وربما أفادت عبارته معنى التكرير في الراء لأنه ذكرها قبل حروف القلقللة فقال^(٢٤) : « إنك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير » ، وهي شبيهة بالضاد من حيث نفاذ الهواء ، فالضاد تسمع لها نفخاً حين النطق بها لاحتكاك الهواء بين جانب اللسان وما يليه من الأضراس مع ضيق في مجراه ، كذلك الراء تسمع لها نفخاً حال الوقف مع ما يعتورها من تكرير .

وخلاصة ما أفاده ابن جني أنه جعل المُشربة قسمين : الأول : أصوات القلقللة وتتصف بشدة الحفز والضغط ، وكلها شديدة (انفجارية) بحسب وصفه لها ، وهذه يعقبها صوت حين الوقف عليها . والثاني : أصوات أقل ضغطاً وهي الزاي والطاء والذال والضاد ، وكلها رخوة (احتكاكية) بحسب وصفه لها . أما الراء فوصفها بأنها مكررة وهي عنده بين الشديدة والرخوة ، وهذه الأصوات لا يعقبها صوت بل نفخ . وبذلك فرق ابن جني بين الصوت والنفخ اللذين يعقبان المُشربة وكان الصوت أو الصوت يحصل حين يكون الضغط شديداً خلافاً للنفخ الذي يحصل حين يكون الضغط أقل شدة .

وعدّ ابن عصفور أصوات القلقللة التي سماها (المتقلقلة) قسماً للمُشربة وليست قسماً منها ؛ فالمتقلقلة عنده القاف والجيم والطاء والذال والباء ، وقال إنها « تضغط عن مواضعها وتحفز في الوقف فلا تستطيع الوقف عليها إلا بصوت ... »^(٢٥) . وأما المُشربة فهي الزاي والطاء والذال والضاد والراء . وعرف المُشربة فهي الزاي والطاء والذال والضاد والراء . وعرف المُشرب بأنه « حرف يخرج معه عند الوقف عليه نحو النفخ إلا أنه لم

عليها في أواخر الكلم ، وهو ما يدعى (بالقلقلة الكبرى) إلا أن بعض المتأخرين من علماء القراءات قد أشار الى ما يسمى بالقلقلة الصغرى وهي التي تعقب الصوت في أواسط الكلم ، ولا يعني ذلك أن يكون الصوت متبوعاً بحركة قصيرة أو طويلة بل المراد سكون الصوت أي أن يكون الصامت ساكناً غير متبوع بحركة . ويمكن القول بأن النفسية لا تظهر في الأصوات العربية إلا في حالتي السكون والوقف . أما الوقف ففي أواخر الكلمة ، وأما السكون ففي أواسطها أو في أواخرها .

٣ - بين اللغويون العرب ولاسيما المتأخرين منهم أن النسخ

الذي يتبع الأصوات النفسية يختلف من حيث قوته ووضوحه في السمع تبعاً لمقدار ضغط الأصوات من مواضعها .
وقد ميزوا بين ثلاثة من الظواهر النفسية التي تلحق الأصوات :
أ - صوت : وهو يعقب الصوت إذا كان مقدار ضغط الصوت من موضعه شديداً .
ب - نفخ : - وهو يعقب الصوت إذا كان مقدار ضغط الصوت من موضعه أقل شدة من الأول .
ج - ما يشبه النفخ : وهو يعقب الصوت إذا كان مقدار ضغط الصوت من موضعه أقل شدة من الموضوعين المذكورين آنفاً .

الهوامش

- (١٩) انظر في هذا الموضوع وما يليه : شرح الشافية ٢ / ٢٦٣ .
(٢٠) انظر : ماريو باي : اسس علم اللغة ص ٨٢ .
(٢١) انظر : محمود السمران : علم اللغة ص ١٥٣ ، وكمال بشر : علم اللغة العام (الأصوات) ص ١٠٠ .
(٢٢) اللغة : ٤٨ .
(٢٣) انظر : اسس علم اللغة ص ٨٢ .
(٢٤) انظر : السمران : علم اللغة ص ١٥٣ . وبشر : علم اللغة العام (الأصوات) ص ١٠٠ ، ١٠١ . ووصف كمال بشر الجيم كما تنطق في الفصحى المعاصرة بأنها صوت انفجاري - احتكاكي ، أي مركب بين الشديد والرخو بحسب اصطلاح اللغويين العرب .
(٢٥) انظر : السمران : علم اللغة ص ١٦٠ ، وبشر : علم اللغة العام (الأصوات) ص ١١٧ ، ١٠٢ .
(٢٦) انظر : ابراهيم أنيس : في اللهجات العربية ص ١٧٧ ، وعلم اللغة العام (الأصوات) ص ٨٨ .
(٢٧) تمام حسان : مناهج البحث في اللغة ص ١٢٣ ، وعلم اللغة العام (الأصوات) ص ١٢٣ .
(٢٨) علم اللغة العام (الأصوات) ص ١٠١ .
(٢٩) مناهج البحث في اللغة : ص ١٢٣ .
(٣٠) مناهج البحث في اللغة : ١٢٤ .
(٣١) انظر : السمران : علم اللغة ص ١٥٧ ، ١٦٠ . وعلم اللغة العام (الأصوات) ص ١١٦ .
(٣٢) انظر : فندريس : اللغة ص ٥٨ .
(٣٣) السمران : علم اللغة ص ١٦٠ .
(٣٤) علم اللغة : ١٦٢ .
(٣٥) جان كانتينو : دروس في علم أصوات العربية ص ٣٨ نقلًا من كتاب الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص ٣٢٢ .
(٣٦) النشر : ١ / ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

- (١) انظر : مقدمة العين بتحقيق المخزومي والسامرائي .
(٢) انظر : السمران ، علم اللغة - مثلا - .
(٣) معجم علم اللغة النظري : ص ٢٤ .
(٤) انظر : معجم علم اللغة النظري : ص ٢٤ .
(٥) ابن الجزري : النشر ١ / ٢٠٣ .
(٦) النشر : ١ / ٢٠٣ .
(٧) انظر : سر صناعة الإعراب ١ / ٦٩ ، والممتع ٢ / ٦٧١ ، ٦٧٢ .
(٨) النشر : ١ / ٢٠٣ .
(٩) المقتضب : ١ / ١٩٦ .
(١٠) المقتضب : ١ / ١٩٦ .
(١١) المقتضب : ١ / ١٩٦ .
(١٢) النشر : ١ / ٢٠٣ . وتتمتع الكلام : « ... في الوقف وغيره والى زيادة إتمام النطق بهنّ فذلك الصوت في سكونهنّ أبين منه في حركتهنّ وهو في الوقف أمكن » . ويستدرك علي ابن الجزري في هذا النص أمور ، منها ذكره النص بما يوهم أنه نقل لكلام المبريد كما هو وليس الأمر كذلك ، والإشارة الى أن القلقلّة قد تعرض في الحركة إلا أنها في الوقف أمكن ونسبة ذلك الى المبريد ، وعبارة المبريد في هذه المقولة واضحة فقد نصّ على أن هذه النبذة تظهر في الوقف « فإن وصلت لم يكن لأنك أخرجت اللسان عنها الى صوت آخر فحلت بينه وبين الاستقرار » . انظر : المقتضب ١ / ١٩٦ .
(١٣) سر صناعة الإعراب : ١ / ٧٣ .
(١٤) حسام النعيمي : الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص ٣٢٢ .
(١٥) سر صناعة الإعراب : ١ / ٧٣ .
(١٦) انظر : الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص ٢٢٠ .
(١٧) الممتع : ٢ / ٦٧٥ .
(١٨) الممتع : ٢ / ٦٧٦ .

المصادر والمراجع

- ٧ - اللغة - ج . فندريس - تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص - القاهرة ١٩٥٠ .
٨ - معجم علم اللغة النظري - محمد علي الخولي - مكتبة لبنان - بيروت ١٩٨٢ .
٩ - المقتضب - المبريد - تحقيق عبد الخالق عظيمة - القاهرة ١٩٦٣ .
١٠ - الممتع في التصريف - ابن عصفور - تحقيق فخرالدين قباوة - حلب ١٩٧٠ .
١١ - مناهج البحث في اللغة - تمام حسان - المغرب ١٩٧٩ .
١٢ - النشر في القراءات العشر - ابن الجزري - تصحيح علي محمد الضباع - القاهرة .

- ١ - أسس علم اللغة - ماريو باي - ترجمة أحمد مختار عمر - طرابلس ١٩٧٣ .
٢ - الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني - حسام النعيمي - بغداد ١٩٨٠ .
٣ - سر صناعة الإعراب : ابن جني - تحقيق مصطفى السقا وآخرين - القاهرة ١٩٥٤ .
٤ - شرح شافية ابن الحاجب - الرضي - تحقيق محمد نور الحسن وآخرين - القاهرة ١٣٥٦ هـ - ١٣٥٨ هـ .
٥ - علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي) - محمود السمران - بيروت د . ت .
٦ - علم اللغة العام (الأصوات) - كمال محمد بشر - القاهرة ١٩٧٣ .

كسرة طويلة كقولك : (تأكيد) (٣٠) .

ونستنتج مما تقدم أن النفسية لا تقتصر عند اللغويين المحدثين على الأصوات الانفجارية المجهورة حسب ولكنها قد تحصل في أصوات غير مجهورة . وهذا الرأي هو ما نص عليه اللغويون العرب ولا سيما ابن جني والرضي . وتختلف الأصوات من حيث ظاهرة الانفجار ، فبعضها أكثر انفجارية من غيره ، كما تختلف من حيث الهمس ؛ فبعضها يشويه الجهر في سياق معين .

ويكاد يتفق المحدثون من علماء اللغة مع اللغويين العرب المتقدمين على الأسباب الموجبة للنفسية (٣١) . ولما كانت هذه الظاهرة في الأصوات الانفجارية المجهورة أكثر وضوحاً من غيرها فالتعليل الصوتي المقبول لذلك هو كون الأصوات الانفجارية المجهورة تحتاج إلى جهد عضلي أكبر (٣٢) ، وبخاصة حين الوقف عليها لانسداد مجرى الهواء في موضع الانغلاق وعدم جريان النفس معها لأنها مجهورة ومن ثم وجب اتباعها بصوت لينقلها من حال الوقف والسكون إلى شبه الحركة ، وبذلك يتحقق فيها صفتا الانفجار والجهر .

هذا ما يخص الانفجارية المجهورة ، وأما الانفجارية المهموسة كالفاء والطاء فلا تحتاج إلى جهد عضلي كبير كالذي تحتاجه الانفجارية المجهورة ، ولذلك يعقب بعضها نفخ بسيط دون الصوت كالكاف والطاء .

والظاهر أن اللغويين العرب حين اشتروا الوقف على مثل هذه الأصوات ليعقبها صوت أو نفخ أو شبهه لا حظوا تمكين الصوت من النطق به نطقاً واضحاً بهذا الصوت أو النفخ . والظاهر أيضاً أن اللغويين العرب فطنوا (٣٣) إلى أن مثل هذه الأصوات قد يعقبها صائت قصيرة (= فتحة - مثلاً) أو طويلة (= ألف - مثلاً -) نحو : (تا) ، (با) ، (طا) ، ولذلك اشتروا الوقف على هذه الأصوات لتمكينها من النطق بصوت يعقبها أو شبه نفخ ، لأنه إذا ولها صائت قصيرة أو طويلة حل محل الصوت أو النفخ فلا حاجة للصوت أن يستعين بهما لأن الصائت يفي بالغرض المطلوب ويمكن الصوت من النطق الواضح الجلي .

وللمرحوم الدكتور محمود السمران رأي في الصوت الذي يعقب ما يسمى بـ (حروف القلقة) عند اللغويين العرب ، ومفاده أن هذا (الصوت) غير مهموس أي ليس نفسياً وإنما يشبه بالحركة أو بالصائت القصير ، ووصفه بأنه « صوت صائت مركزي ضعيف » (٣٤) . ونحن لا نوافق الدكتور السمران في رأيه هذا على جلالته قدره وتضلعه من العلوم اللغوية الحديثة ، وذلك لأسباب أهمها أن اللغويين العرب ولا سيما ابن جني والرضي من المتأخرين فرقوا بين الصوت الذي يعقب حروف القلقة وبين النفخ أو شبهه الذي يعقب غيرها وبخاصة المهموسة كلها على رأي الرضي . وهذا التفريق نتيجة لما لاحظوه من الجهد العضلي في نطق هذه الأصوات ، وقد عبروا عن ذلك بما يفهم فحواه من عبارات نحو :

(الضغط من موضعه) و (الحفز) و (الحصر) وما أشبهه .

وجعلوا للأصوات الانفجارية المجهورة صوتياً يعقبها حين السكون أو الوقف عليها لما تحتاجه من جهد عضلي أكثر ، في حين جعلوا للأصوات الانفجارية المهموسة نفخاً أو شبهها لأنها تحتاج إلى جهد عضلي أقل مما تحتاج إليه الانفجارية المجهورة . وهذا بيّن في التفريق ولا يمكن أن يبلغ الصوت أو النفخ أو شبه مبلغ الصائت مهما كان ضعيفاً ؛ فالفتحة - مثلاً - وهي من الصوائت في العربية يمكن أن تكون قصيرة وهي الفتحة المألوفة في النطق وتوصف بأنها متوسطة من حيث الأشباع . ويمكن أن تكون طويلة فتستحيل ألفاً إذا أشبعت في النطق ، كما يمكن أن تكون دون المتوسطة المألوفة أو بين القصيرة والطويلة ... وهكذا . وقد لاحظ علماء القراءات مثل هذه الاختلافات في الحركة فيما اصطاحوا عليه بالروم والأشمام حال الوقف ، ولا توصف الفتحة أو الكسرة في الأحوال كلها إلا كونها صوائت مهما كانت درجة الأشباع المعتمدة في نطقها .

ومن المرجح أن الصوت أو النفخ أو شبهه نَفَس يعقب الأصوات الانفجارية مجهورة كانت أو مهموسة ، وهذا النفس متصل بمجرى الهواء المندفع ولا يبدو كونه تتمه لتمكين الصوت من النطق . وأشار بعض الباحثين في العربية من المستشرقين (٣٥) إلى ما سمي (بالقلقة الكبرى) و (بالقلقة الصغرى) ويقصد بالكبرى : القلقة التي تصحب الصوت حين الوقف عليه في آخر الكلمة ، وأما الصغرى فهي القلقة التي تصحب الصوت إذا وقع في وسط الكلمة ساكناً ، وكان في هذا التفريق استدراكاً على المتقدمين من اللغويين العرب كابن جني في أنهم لم يذكروا ما عبر عنه بالقلقة الصغرى .

وقد لاحظنا أن معظم اللغويين العرب انصب اهتمامهم على القلقة في أواخر الكلم لأن أواخرها تستدعي الوقف ، غير أن ابن الجزري نقل نصاً عن أبي الحسن شريح من كتابه الموسوم بـ (نهاية الاتقان في تجويد القرآن) يفهم منه بوضوح تفريق اللغويين المتأخرين وقراء القرآن الكريم بين نوعين من القلقة : إحداها تحصل للصوت في وسط الكلمة ، والأخرى تحصل للصوت في آخر الكلمة . قال أبو الحسن شريح لما ذكر أحرف القلقة الخمسة : « ... وهي متوسطة كباء الأبواب وجيم النجدين ودال مددنا وقاف خلقتنا وطاء لا تشطط ؛ فالقلقة هنا أبين في الوقف في المتطرفة من المتوسطة » (٣٦) .

خلاصة لأهم النتائج :

١ - بحث اللغويين العرب في الأصوات التي يصطلح عليها في علم اللغة الحديث (بالأصوات النفسية) من خلال ما اصطاحوا عليه بحروف (القلقة) ، وهي الفاء والطاء ونباء والجيم والدال . وتناولوا بالبحث أيضاً أصواتاً أخرى غير حروف القلقة ظهرت عليها علامات النفسية كالتاء والكاف والزاي والطاء والدال والضاد .

٢ - انصب اهتمام اللغويين العرب على الأصوات التي تصحبها الظاهرة المذكورة آنفاً حينما تكون ساكنة أو موقوفة .